

الجمع الذي على لفظ الاثنين في القرآن الكريم دراسة صرفية وصوتية ودلالية

أ.م.د. عماد حميد احمد
أ.م.د. صالح ذيب صالح
جامعة تكريت / كلية لتربية للبنات

بسم الله الرحمن الرحيم ملخص البحث

ما هو معروف فإنَّ للألفاظ جموعاً، وما جمع التكسير الا واحداً من هذه الجموع ،
أتاحت كثرة أوزانه مجالا واسعا في تغير بناء المفرد للتعبير عما يراد.
وقد جاءت ألفاظ كثير تجتمع على أكثر من جمع ، والكلمات التي بحثت هنا هي من هذه
الألفاظ ، كل ذلك دفعني الى البحث عن المعاني الدقيقة التي يحتملها كل الجمع بحيث يفترق
عن الآخر؛ لأنَّ البنية لا تفرق ان لم يكن التباين في المعنى مصحبا لها، فضلا عما تضيفه بكل
ألفاظها من أثر موسيقي ودلالي في السياق الذي وردت فيه، مع دراسة تلك اللفظة .
وعليه فهذا البحث يعرض الألفاظ التي جمعت على صيغة (فعلان) بضم الفاء وكسرها،
وسكون العين في كلا الحالتين في القرآن الكريم، وما يتصل بتلك الالفاظ صرفيا وصوتيا وداليا،
لاسيما أنَّ علم اللسانيات الحديث ينص على دراسة الموضوعات دراسة مترابطة متناسقة شاملة
لكل ما يحيط بها من جوانبها اللغوية.
أما تقسيم البحث فجاء بتمهيد تناولت فيه (التعريف بالجمع وأقسامه وموضوع الجمع الذي
على لفظ الاثنين فيه) ، ثم أردفت التمهيد (ألفاظ هذا الجمع التي وردت في القرآن الكريم ،مما
صرح العلماء على أنَّها جمعت على حد التنثية ، معتمدا في ذلك تسلسلها على الحروف
الهجائية).

RESEARCH SUMMARY

What is known, the words of the crowds, and Majma cracker, but one of these from the crowds, the large number of weights allowed ample room in the building to change the singular expression of what is intended.

The words of many meets more than the collection, and words you searched here are came from these words, all of this prompted me to look for the nuances that endure all combined to get separated from brother; because the structure of Atafiq if not the variation in meaning Msahba her, as well as impart all add to their wording of the impact of music and Dalala in the context in which they were received, with Drast that word.

Therefore, this paper presents the terms that were collected on a formula (Flan) annexation Fa and broken, and the stillness eye in both cases in the Koran, and related to that Srvia and audio and Tagged wordy, especially that of modern linguistics provides for the study of topics comprehensive consistent coherent study of each Mahristit out of its aspects language.

The research is divided came boot dealt with it (definition by combining the divisions and the subject of combining the utter Monday it), then She boot (the words of this combination contained in the Koran, Mmasrah scientists Onhajmat the end of Deuteronomy, relying in that sequence on the alphabet).

﴿ ١٠٢ ﴾ المقدمة

الحمد لله الذي انزل القرآن بابلغ النظم ، وجعل كلامه محكماً منتظماً ، والصلاة والسلام على

المبعوث رحمة للعالمين نبياً محمداً ، وعلى اله وأصحابه وبعد.....

فإنَّ مَنْ تصبو نفسه لإدراك علم في القرآن الكريم _أيّاً كان هذا العلم_ يجد نفسه ملزماً بتشبع اللفظ القرآني ، وتعرّف معانيه ومقاصده ومفاهيمه. إنّ تاريخ النظر في الدراسات الصرفية قديم ، ولم يقتصر علم الصرف منذ بواكيره الاولى على ميدان واحد من ميادين اللغة ، فضلاً عن عدم اقتصره على مستوى واحد من مستويات التحليل اللغوي ، بل عُرف عنه ارتباطه بدرس (الأصوات) ثمَّ انطلاقه لدراسة (الدلالة) من زوايا مختلفة. وقد كنت وأنا أقرأ كتب الصرف يستوقفني مصطلح (الجمع الذي يكون نظير أو الجمع الذي على هجائيين) ففما ذلك الشيء عندي ، وارتأيت أن أدرس هذا المصطلح تحت عنوان (الجمع الذي على لفظ الاثنين في القرآن الكريم ، دراسة صرفية وصوتية ودلالية)، موظفاً فيه الدراسة الصوتية والدلالية ،ذلك أنّ صوغ (الكلمة) في العربية يكاد يكون قياسياً في اغلب الأحوال ، لاسيّما أنّ صيغة الكلمة في العربية تحمل في ذاتها اشارات دلالية واضحة ، فيما يعرف بـ (الوظيفة الصرفية) ، فأردت أن أوظف هذه الوظيفة في السياق القرآني الذي وردت فيه الجموع التي تناولتها في هذه الدراسة ، مع بيان ما توحيه اصوات تلك الجموع من دلالات وإيحاءات ، ونغم موسيقي على أن يكون الدرس الصرفي مرتبطاً وثيقاً في بيان الأمثلة الوارد ذكرها في هذا البحث ، وختاماً أقول ، فقد تناولت هذه الألفاظ، التي درستها بشكل واضح وتفصيلي كما أعطيت أهمية للأصوات التي لها علاقة وخصوصية في بيان دلالة الكلمات ، وما تضيفه من نغم موسيقي وإيحاءات لتلك الأصوات. من هنا جاء هذا البحث بتمهيد تحدّث فيه عن (التعريف بالجمع واهتمامه وموقع الجمع الذي على لفظ الاثنين فيه) ، يكون مدخلاً لهذه الدراسة ، التي تناولت فيها الألفاظ القرآنية ، الوارد ذكرها في القرآن الكريم على صيغة الجمع الذي على لفظ الاثنين ، وكان اعتمادي في عرضها مبنياً على تسلسلها بحسب الحروف الهجائية ، ثمَّ ختمت البحث بما توصلت اليه من نتائج وارادتها بمصادر هذا البحث ومراجعته . أملي أن يكون هذا الجهد عوناً ومرشداً ودليلاً لهواة علوم اللغة العربية –(الصرف والصوت والدلالة) – ومحبيها ودارسيها ، وأن يحظى بالرضا والقبول مادام ميدان دراسته يمثل المصدر الأول لأصول السماع في فروع اللغة العربية ألا وهو (القرآن الكريم) ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه والله أسأل أن يجعله خالصاً لوجهه نافعاً به.

التمهيد

التعريف بالجمع وأقسامه وموقع الجمع الذي على لفظ الاثنين فيه:

الجمع لغةً : هو مصدر قولك جَمَعْتُ الشَّيْءَ ، وهو اسماً لجماعة الناس. (١) أمّا اصطلاحاً فهو ((ضَمُّ شَيْءٍ إِلَى أَكْثَرِ مِنْهُ ، فَالْتِثْنَةُ وَالْجَمْعُ شَرِيكَانِ مِنْ جِهَةِ الْجَمْعِ وَالضَّمِّ ، وَانَّمَا يَفْتَرَانِ فِي الْمَقْدَارِ وَالْكَمِّيَّةِ وَالْغَرَضِ بِالْجَمْعِ الْإِيجَازُ كَمَا كَانَ فِي الْتِثْنَةِ كَذَلِكَ إِذَا كَانَ التَّعْبِيرُ بِاسْمٍ وَاحِدٍ أَخْفَ مِنَ الْإِثْنَيْنِ بِأَسْمَاءٍ مُتَعَدَّةٍ)). (٢) أو ((هو الاسم الموضوع للأحاد المجتمعة دالاً عليها دلالة تكرار الواحد بالعطف)) (٣)، ولا يزيد المتحدثون في تعريفهم للجمع على ما ذُكر ، فالجمع ((هو ماد على أكثر من اثنين أو اثنتين)) (٤)، والجمع على ثلاثة أنواع (٥) :

١- جمع المذكر السالم : هو ما سلم بناء مفرده عند الجمع ، ويصاغ بزيادة واوٍ ونون عند الرفع ، وياء ونون عند النصب والجر ، نحو: (عامل ، عاملون ، عاملين).
٢- جمع المؤنث السالم : هو ما سلم بناء مفرده عند الجمع ، ويصاغ بزيادة ألف وتاء ، نحو (مريم ، مريمات).

٣- جمع التذكير : هو ما دلّ على أكثر من اثنين بتغير بناء واحده لفظاً نحو : (رَجُلٌ ، وَرِجَالٌ) ، أو تقديرًا نحو : (فُلُكُ) للمفرد والجمع وهذا الجمع _ أعني جمع التذكير _ يقسم على قسمين (٦): جمع قلة ، وجمع كثرة فأما جَمْعُ الْقَلَّةِ فهو ما دلّ على عدد لا يقلّ على ثلاثة ولا يزيد على عَشْرَةٍ ، وله أربعة أبنية ، قال سيبويه: ((اعلم أنّ كلّ بناء كان لأدنى العدد فأنّك تحقّر ذلك البناء لا تجاوزه إلا لأدنى العدد ، فلما كان ذلك لم تجاوزه واعلم أنّ لأدنى العدد أبنية هي مختصة به ، وهي له في الأصل ، وربما شَرِكه فيه الأكثر ، كما أنّ الأدنى ربّما شَرِك الأكثر . فأبنية أدنى العدد (أفْعُل) نحو : أَكَلْبٌ وَأَكْغُب . (وأفْعَال) نحو

١ - الصحاح (جمع) ١١٩٨/٣.

٢ - شرح المفصل ٢/٥ ، وينظر: كشف المشكل في النحو ٢٨٦/١.

٣ - شرح الحدود النحوية ٥٥.

٤ - أبنية الصرف في كتاب سيبويه ٢٩٢ ، وينظر: جموع التصحيح والتكسير ٢٧.

٥ - ينظر: الكتاب ٣/٤٩٠ ، ٥٦٧ ، ٥٧٠ ، وينظر: شرح ابن عقيل ٤٥٢/٢ ، والمنهج الصوتي للبنية العربية ١٣٢ ، والصيغ الإفرادية في العربية ١٩٨.

٦ - ينظر: التكملة ٥٠٢ ، وينظر: اللمع ٢٧٥.

: أَجْمَالٌ وَأَعْدَالٌ وَأَحْمَالٌ ، (وَأَفْعَلَةٌ) نحو : أَجْرِيَّةٌ ، وَأَنْصَبِيَّةٌ ، وَأَغْرِيَّةٌ ، (وَفِعْلَةٌ) نحو : غِلْمَةٌ وصَبِيَّةٌ وَفِتْنَةٌ وَإِخْوَةٌ وَوَلَدَةٌ (١) .

وفيما عدا هذه الأوزان فهي للكثرة ، وإن كان للقلة ، يقول سيبويه ((فتلك أربعة أبنية ، فما خلال هذا الأصل الأكثر وإن شَرِكه الأقل . ألا ترى ما خلا هذا إنما يحقر على واحده ، فلو كان شيء مما خلا هذا يكون للأقل كان يُحَقَّر على بنائه ، كما تحقَّر الأبنية الأربعة التي هي لأدنى العدد ، وذلك قولك في أكلب : أَكْلَبٌ ، وفي أَجْمَالٍ : أَجْمَالٌ ، وفي أَجْرِيَّةٍ : أَجْرِيَّةٌ ، وفي غِلْمَةٍ : غَلِيمَةٌ ، وفي وَلَدَةٍ : وكذلك سمعناها من العرب فكل شيء خالف هذه الأبنية في الجمع فهو لأكثر العدد ، وإن عني به الأقل فهو داخل على بناء الأكثر وفيما ليس له . كما يدخل الأكثر في بنائه (وفي حَيَرِهِ)) (٢) . وأما جمع الكثرة فهو ما زاد على عشرة ، وله أربعة وعشرون بناءً . (٣) لا حاجة بنا إلى ذكرها هنا .

- الجمع الذي على لفظ الاثنين :

هو الجمع الذي يكون نظير التثنية ، ويُسمى (جمع السلامة) و (جمع التصحيح) ، لأنه صَحَّ فيه لفظ الواحد بعينه ، و (جمعاً على حدَّ التثنية) ، (جمعاً على هجائين) ، وحده م اسلم فيه نظم الواحد وبنائه . (٤) .

ويجيء هذا الجمع على بنائين هما :

الأول : ما جاء على صيغة (فِعْلَان) ، ويترد في أربعة أوزان من الاسماء هي (٥) :

أ-فُعَالٌ : ك (غُلَامٍ وَغُلَمَان) ، والمضعَّف ك (ذُبَابٍ وَذِبَّان) (٦) .

ب-فُعَلٌ : ك (صُرْدٍ وَصُرْدَانٍ) ، و (جُرْدٍ وَجُرْدَانٍ) (٧) .

١ - الكتاب ٣/٤٨٩-٤٩٠ .

٢- المصدر نفسه ٣/٤٩٠ .

٣- ينظر : الكتاب ٣ / ٥٨٢ ، و ينظر: اللمع ٢٧٨-٢٨٥ ، وأوضح المسالك ٢ / ٢٩٩ ، والفَيْصَل في ألوان الجموع ٤٥-٩٢ .

٤- ينظر : اللباب في علل البناء والإعراب ٢ / ١٨٢ .

٥- ينظر : البحث الصرفي في التفسير الكبير لفخر الدين الرازي ٩٢ .

٦- ينظر : الكتاب ٣ / ٦٠٤ .

٧- ينظر : الكتاب ٣/٥٧٤ ، والمقتضب ٢ / ٢٠٢ .

ج- فَعَلَ : المعتل العين ، ك (حُوَّتٍ وَحِيَّتَانِ) ، والمضعف ك (حُشٍّ وَحَشِشَانٍ) (١) .

د- فَعَلَ : المعتل العين ، ك (تَّاجٍ وَتِيَّجَانٍ) ، و (نَارٍ وَنِيرَانٍ) (٢) .

أمَّا الثاني فهو ما جاء على صيغة (فُعْلان) ، ويطرَّد هذا البناء في كُلِّ اسم على زنه (فَعَلَ) بفتح فسكون نحو : (بَطْنٌ ، وبُطْنَانٌ) كما يطرَّد في اسم صحيح العين على وزن (فَعَلَ) نحو حَمَلٌ ، وحُمْلَانٌ) وفي اسم على وزن (فَعِيلٌ) نحو (رَغِيفٌ ، ورُغْفَانٌ) (٣) ويلاحظ أنَّ هذه الصيغة تعدُّ من صيغ الجموع التي تختص بالأسماء دون الصفات ، وما جُمِعَ عليها من الصفات إنَّما لقربه من الاسمية ، قال سيبويه : (وقالوا : فُعْلان ، في الصفة كما قالوا في الصفة التي ضارعت الاسم وهي إليه أقرب من الصفة إلى الاسم وذلك : راعٍ ورعيان ، وشاب وشُبَّانٌ) (٤) وقال رضي الدين الأستراباذي : ((وإذا انتقل (فَاعِلٌ) من الصفة إلى الاسم - كَرَاكِبٍ الذي هو مُخْتَصٍ بِرَاكِبٍ البعير .. وفَارِسٍ الْمُخْتَصِ بِرَاكِبِ الْفَرَسِ ، وراغٍ الْمُخْتَصِ بِرَعِي نوعٍ مَخْصُوصٍ ، ليست كما ترى على طريق الفعل - كأنه يجمع على (فُعْلان) ء (حُجْرَان) في الاسم الصريح)) (٥). يُفْهَمُ من هذا أنَّ بناء (فُعْلان) يمثل أحد أبنية جموع التكسير الخاصة بالأسماء لا الصفات ، أمَّا ما جمع من الصفات على هذا لبناء ، فعلته قرب هذه الصفات من الأسمية ، لأرادته الاسمية (٦). وعليه فإنَّ هذا البناء يدلُّ على فئة معينة من المتصفين بهذا الوصف موازنة بغيرها ، قال أبو علي النحوي : ((وقد يُجْمَعُ (الْأَبْكَمُ) بُكْمَانًا ، كما يُجْمَعُ (الْأَصَمُّ صُمْنَانًا))) (٧) ، ((اللَّيْثُ : يقال للفقير المُحْتَاج (أَعْفُفٌ) والجمع (عُفْفَانٌ) بالضم)) (٨) ، (((الْوُغْدَانُ) بالضم : جَمْعُ (وَعْدٍ))) (٩) .

١- ينظر : الكتاب ٣ / ٥٩٣ ، و ينظر: المهذب في علم التصريف ١٩٥ .

٢- ينظر : الكتاب ٣ / ٥٩٠-٥٩١ ، و ينظر: شرح ابن عقيل ٣ / ٤٥٤ .

٣- ينظر : الكتاب ٣ / ٦٤٦ ، و ينظر: شرح الأشموني ٤ / ١٠١ ، وعمدة الصرف ١٦٦ .

٤ - الكتاب ٣ / ٣٣٦ .

٥- شرح شافية ابن الحاجب ٢ / ١٥٢ .

٦ - ينظر : معاني الأبنية ١٥٧-١٥٨ .

٧- التكملة ٥ / ٥٨٢ .

٨ - المصدر نفسه ٤ / ٥٣٣ .

٩- المصدر نفسه ٢ / ٣٦١ .

وبهذا تكون صيغتا (فَعْلان ، وفُعْلان) من صيغ جمع التكسير ، الدالة على الكثرة ، وقد جيء الجمع بهما على حَدِّ التنثية.

أما صيغة (فَعْلان) بفتح الفاء فليس من أمثلة التكسير ، لأنها اسم جمع لأجمعاً ، اذا ليس في صيغ الجمع ما هو على وزن (فَعْلان) (١) . ولابدّ من الذكر هنا أنّ صيغة (فُعْلان) لها استعمال اخر غير استعمال في الجمع ، إذ قد تكون مصدراً سماعياً مفرداً ، قال تعالى : (عُفْرَانِكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ) (٢) أي : غفر الله ذنبه غفراً ، وقوله أيضاً : (فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ) (٣) أي : كفر كفراً (٤) . وهذا ما لا يعينا هنا ، ولسنا بحاجة إلى التوسع به بل الاكتفاء بالإشارة إليه فحسب.

الفاظه :

- الإخْوان :

الإخْوان جمع (أخ) على وزن (فَعْلان) (٥) ، وحقيقة الأخ المشارك في بنوة الأم والأب ، أو في بنوة أحدهما ، ويطلق الأخ على الصديق الودود ، ومنه ما اخى النبي - صلى الله عليه وسلم - بين المهاجرين والأنصار (٦) . قال أبو حيان : ((الإخْوانُ : جَمْعُ أَخٍ ، والأخُ معروفٌ ، وهو من من وَلَدَهُ أَبُوكَ وَأُمُّكَ ، أو أَحَدُهُمَا ، وَجَمْعُ فَعْلٍ عَلَى فِعْلَانٍ لَا يَنْقَاسُ)) (٧) . وقد اختصّ هذا الجمع بالأعلام ، لكثرتهم فيمن يعقل ، واختصّ بالذكر منها ؛ لأنّ مسماه أفضل المسميات (٨) (٩) قال تعالى : ((وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا)) (٩) ، فالإخوان جاءت هنا بمعنى الصداقة ، وهذا المعنى هو الغالب فيها .

١ - ينظر: المحتسب ٣٥٢/١ ، وينظر: أنوار التنزيل وأسرار الأقاويل ١٧٥/٢ .

٢ - البقرة: ٢٨٥ .

٣ - الأنبياء: ٩٤ .

٤ - صيغة (فعْلان) واستعمالاتها في اللغة العربية ١٤٨/٤٠ .

٥ - ينظر : التحرير والتنوير ٩ / ٢٣٤ .

٦ - ينظر : المصدر نفسه ٩ / ٢٣٤ .

٧ - البحر المحيط ٢ / ٤٠٠ .

٨ - ينظر : اللباب في علل البناء والإعراب ١ / ١٨٢ .

٩ - آل عمران ١٥٦ .

أما الأخوة فإنها تكون في النسب . (١) قال تعالى : ((لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلِّسَائِلِينَ)) (٢) ، وقد يُعكس . (٣) وخلاصة القول فلاخوان ، جمع الأخ من النسب ، والإخوان جمع جمع الأخ من الصداقة ، والله تعالى قال : ((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ)) (٤) . تأكيداً للأمر إشارة إلى إلى أن ما بين الإخوة من الإسلام ، والنسب لهم كالأب . (٥) قال فخر الدين الرازي : ((قال بعض أهل اللغة الإخوة جمع الأخ من النسب ، والإخوان جمع الأخ من الصداقة ، قال الله تعالى : ((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ)) (٦) ، تأكيداً للأمر ، وإشارة إلى أن ما بين الإخوة من النسب والاسلام والاسلام كالأب ، قال قائلهم (٧) :

أبي الإسلام لا أب لي سواه إذا افتخروا بقيسٍ أو تميم (((٨) .

وعليه فقد ورد جمع (الأخ) في القرآن الكريم على (إخوة) و(إخوان) ، واختص الأول بالإخوة الذين في النسب ، وجاء الإخوان في إخوان الدين أو الصداقة ، وجمع (فعله) من جموع القلة ، فجاءت إخوة النسب على القلة ؛ لأنَّ (الإخوة) في الغالب لا يتعدى عددهم العشرة (٩) . قال تعالى في ذكر الميراث : ((فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ)) (١٠) . أما الإخوان فهو أحد جموع الكثرة ، فتطابق مجيؤه مع إخوان الدين أو الصداقة لمطلق الكثرة (١١) . والذي يظهر أنَّ القرآن الكريم ذكر أن إخوان الدين ، هم الذين يجتمعون على معتقد واحد ، قال تعالى : ((فَإِنْ لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ)) (١٢) .

١- ينظر : الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ١٠ / ٩ .

٢- يوسف ٧ .

٣- ينظر : الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ١٠ / ٩ .

٤- الحجرات ١٠ .

٥- ينظر : تفسير اللباب ١ / ٤٦١٢ .

٦- الحجرات ١٠ .

٧- البيت لنهار بن توسعة الشكري ، وهو من شواهد سيبويه ، ينظر : الكتاب ٢ / ٢٨٢

٨- التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) ٢٨ / ١٢٩ ، و ينظر : معاني الأبنية ١٣٧ - ١٣٨ .

٩- دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني ٢٢٦ .

١٠ - النساء ١١

١١- دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني ٢٢٧ .

١٢- الأحزاب ٥ .

تلك الأخوة في الإيمان ، ومن الأخوة في الكفر والغمي ما جاء في قوله تعالى : ((أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ)) (١) .

نلاحظ أنَّ الجمال الصوتي الذي حَقَّقَتْهُ لفظة (إخوان) إنّما جاء بشكل واضح ؛ لوجود حروف (الألف ، والواو ، والنون) ، وهي الحروف التي تتمتع إسماع عالية ،تمخضت لِمَا للألف من انطلاق الصوت لمسافة أطول ، فضلاً عن وجود حرف الغنة (النون) .

فالمعاني التي أوحى بها أصوات لفظة (إخوان) تشير إلى أنَّ الخصائص الهجائية والإيمائية والايحائية المتوقعة في كلّ حرف تتغير بحسب موقعه في الكلمة ، فضلاً عن أنَّ قسماً منها تتأثر معانيها عندما تكون في أواسط الكلمات ، حيث تعطي معنى مختلفاً عما إذا كان الحرف في أول الكلمة أو آخرها. وبذلك يكون للحرف الواحد العديد من المعاني التي يوحى بها ، ويكون ذلك بحسب موقعه من الكلمة التي يشارك في تركيبها ، وقد أشار إلى ذلك ابن جني قائلاً : ((وذلك أنّهم قد يضيفون الى اختيار الحروف وتشبيهه أصواتها بالأحداث المُعَبَّر عنها بها ترتيبها . وتقديم ما يضاهي أول الحدث ، وتأخير ما يضاهي آخره ، وتوسيط ما يضاهي أوسطه ، سوقاً للحروف على سَمَت المعنى المقصود والغرض المطلوب)) (٢) .

ف(إخوان) كلمة من خمسة أحرف ، وهي مقطعان : إ - خ / و - ن ، وقد توسطت فيها (الواو) بين ثلاثة من أحرف الحلق (الهمزة ، والخاء ، والالف) . التي أمدّت هذه اللفظة بخصوصية جعلتها مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالمعنى ، فالأخ موجود ، ولكن الأخ المراد والمرجو في هذه اللفظة هو (الاخ) الذي على دين الإسلام ؛ لهذا جاء صوت المدّ ، الذي برز عن طريق الألف ؛ ليدلّ على بقائهم إخوان في دين الله حتى انتهاء حياتهم بالموت ، وقد ارتبط صوت النون بصوت المدّ ؛ للدلالة على المعنى المرجو في هذه النصوص ، التي وردت لفظة (إخوان) فيها .

١- الحشر ١١ .

٢ - الخصائص ٢ / ١٦٢ .

الثَّعْبَان :

الثَّعْبَان : جمع (ثَعَب) ، وهي أعظم الحَيَّات (١) ، وقيل : اسم جامد لذكر الحَيَّات ، أو العظيم الضخم ، وزنه (فُعْلان)(٢) . قال أحد العلماء(نشوان بن سعيد التميمي):((والثَّعْبَان : مجار الماء الى الرياض والحياض ونحوها ، وهو جمع ثَعَب)) (٣) . قال تعالى : (قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ)) (٤) . فجاء القرآن الكريم هنا بلفظ (ثُعْبَان) مستعاراً للعصا ، مقترباً بلفظ (مبين) ؛ ليدلَّ على مزيد الظهور ؛ وذلك لأنَّ (الثَّعْبَان) هو العظيم من الأفاعي ، أو هو الذكر الأشقر الأشعر،(٥) فجاءت آية الثعبان في معرض إرهاب فرعون ، وإتيانه بآية معجزة . (٦) ثم جاء فرعون بالسحرة فأمرهم بأن يلقوا عصيهم وحبالهم ولما ألقوها استرهبوا الناس ، وجاءوا بسحرٍ عظيم ، الا أنَّ في مقابل ذلك أرهب الثَّعْبَان العظيم السحرة وغيرهم ، فإذا به يلقف ما سحروا به أعين الناس من التخرصات والكذب ، قال تعالى بعد ذكر الثعبان المبين: ((قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنُ النَّاسِ وَاسْتَزْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ * وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ * فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كُنُوا يَعْمَلُونَ)) (٧) . فالمقام هنا ((مقام رهبةٍ واسترهاب وتعظيم ؛ لقوله : (واسترهبوهم) و (بسحر عظيم) ، فكان لا بُدَّ في سنن التحدي أن يكون إثبات العجز منطلقاً من اشتراك كلا الطرفين بخارقة واحدة يسطع بيانها عند أحد الطرفين ، فالسحرة خيلوا للناس أنَّ الحبال والعصي تسعى وتتحرك ، واسترهبوهم ؛ أي : طلبوا حصول الرهبة للناس ، فلا ينتظم مع هذا الفعل العظيم الحية التي تسعى أو الجان الدقيقة ؛ بل الاعجاز في أنَّ العصا تظهر في صورة ثعبان عظيم مرهب مبين يلتهم ما صنعوا)) (٨) ، إذ لفظ ((مبين معناه لا تخيل فيه بل هو بيِّنٌ أَنَّهُ ثَعْبَان

١- ينظر : معجم ديوان الأدب ١٦/٢ .

٢- ينظر : الجدول في أعراب القرآن الكريم ٣٠/ ٩ .

٣- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ٨٤٣/ ٢ .

٤- الأعراف ١٠٦ .

٥- ينظر : دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني ١١٣ .

٦- ينظر : المصدر نفسه ١١٣ .

٧- الأعراف ١١٦ - ١١٨ .

٨- دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني ١١٤ .

حقيقة ((^١) . إنّ لفظة (ثعبان) تصدرت بصوت (الثاء) ، وهو أوحى ما يكون بخصائص الأنوثة ، ممّا لا يجاريه في هذا صوت آخر ، فضلاً عمّا يعبره من معنى البعثرة . وآزره في إحياء المعنى المراد من لفظة (ثعبان) هنا صوت (العين) ، المعروف عنه بأنه يضفي على الألفاظ التي يشارك في تراكيبها في الأعمّ الأغلب ، كثيراً من الفعالية والعيانية والظهور . فصوت العين في تعامله مع الحروف إمّا أن يشدّها إلى تحقيق خصائصه الذاتية من الفعالية والقوة والفخامة ، وإمّا أن يناسق معها للتعبير عن مختلف خصائصها الحية والشعورية . أمّا صوت (الباء) فهو بحكم أنّه صوت انفجاري ، يخرج بانفراج الشفتين سريعاً ، فهو أوحى ما يكون بمعنى المفاجئة والشدة ، وذلك حذواً بمسموع الأصوات على محسوس الأهداف ، وهذه هي وظيفة إحيائية له . من هنا نستطيع أن نلمس كيف أنّ التلائم بين هذه الأصوات مع غيرها من الأصوات جاء منسجماً ومتناسقاً في الدلالة على معنى (ثعبان) ، الوارد ذكرها في النص القرآني المذكور آنفاً ، ولا تتعدّى المقاطع الصوتية فيها المقطعين :

ثُ ع / ب ـ ن .

قصير مغلق + طويل مغلق .

الذكران :

الذُكْرَانُ جَمْعُ (ذَكَر) (^٢) ، وهو اسم لما هو ضدّ الأنثى ، ووزنه (فَعَل) بفتحتين ، ووزن (الذُكْرَان) (فُعْلَان) بضم فسكون ، وثمة جموع أخرى هي (ذُكُور) و(ذِكَارَة) (^٣) . قال رضي الدين الدين الأستراباذي : ((وَأَمَّا فُعْلَانٌ وَفُعْلَانٌ كَاخْوَانٌ وَذُكْرَانٌ فَلَا سَمْعَ أَلْفَاظٍ وَذَكَرَ اسْتِعْمَالَ الْأَسْمَاءِ فَهِيَ كَخَرِبَانٍ ، وَحُمْلَانٍ)) (^٤) . فهذا البناء _ أعني (فُعْلَان) من أبنية جموع الكثرة ، وهو مقيس في كلّ اسم صحيح العين على (فَعَل) (^٥) . قال تعالى : ((أَوْ يَرْوِجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ

١- تفسير الثعالبي (الجواهر الحسان في تفسير القرآن) ٢ / ٤٢ .

٢- ينظر : شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ٤ / ٢٢٨٢ .

٣- ينظر : الجدول في إعراب القرآن الكريم ١٩ / ١١٤ .

٤- شرح شافيه ابن الحاجب ١١٩/٢ ، وينظر: صيغة فعْلان و استعمالاتها في اللغة العربية ٤٠ / ١٤٨ .

٥- ينظر : شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ٤ / ١٢٩ .

يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ)) (١) ، اي يجعلهم ذكراً وإناثاً ، ويجعل مَنْ يشاء عقيماً فلا يلد ، ولا يولد له إنه عليم بما يخلق قدير على ما يشاء (٢).

ولابدّ من الإشارة هنا الى أنّ (الذكور) يطلق على كلّ ذَكَرٍ يقع ضدّ الأنثى ، أمّا (الذُكران) فهو جمع يراد به صنفٌ من الذكور دون غيرهم ؛ لأنّ الجمع الذي يأتي على صيغة (فُعْلان) يغلب عليه التخصيص وعبيه فالصفات إذا جمعت على هذا الوزن اكتسبت تخصيصاً (٣) .

ولا يخفى أنّ الصفات محمولة على الأسماء ، ولما كانت الصفات المجموعة على هذا البناء (فُعْلان) يغلب عليها التخصيص ، فمن باب أولى أن تكون الأسماء - المحمولة عليها الصفات - أحقّ بهذا التخصيص ، قال تعالى : ((اللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ)) (٤) ، فهنا ذكر الله سبحانه وتعالى - (الذكور) و (الذُكران) في سياق واحد من آيات كتابه العزيز ، إلا أنّه ذكر (الذُّكُور) عندما جاء بلفظ (الخلق) ؛ لأنّ الخلق يقع على كلّ ذكر ، وذكر (الذُكران) عندما جاء بلفظ التزويج ، الذي يعني الاقتران ، وهو أن تلد المرأة غلاماً فجارية ثم غلاماً فجارية (٥) ، وقيل : هم التوائم (٦) ، فذكر الذُكران إشارة إلى تخصيصهم بهذه الحال من الولادة ، وما ذكر (الذُكران) بعد (الذكور) إلا من باب ذكر الخاص بعد العام ، فالذُكران صنف من الذكور خاص منهم ؛ إذ ((إنَّهم لا يأتون الأطفال والشيوخ ، وإنَّما يأتون من تستسيغه نفوسهم المنكوسة من الذُكران)) (٧) . وقد ذكرهم الله تعالى مع عمل قوم لوط قائلاً : ((أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ)) (٨).

١- الشورى ٥٠.

٢- ينظر : تفسير الجلالين ٤٨٨.

٣- ينظر : دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني ٢٦٧.

٤- الشورى ٤٩ - ٥٠.

٥- ينظر : دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني ٢٦٨.

٦- ينظر : جامع البيان ٢٥ / ٤٤-٤٥ ، و ينظر : التبيان في إعراب القرآن ٢ / ٢٢٦.

٧- معاني الأبنية ١٥٩.

٨ - الشعراء ١٦٥.

فإحياءات أصوات هذه الحروف ، وما تحمله من دلالات تتلائم والسياق العام لهذه الآية ،
فصوت (الكاف) الشديد (الانفجاري) المهموس نجده بارزاً هنا ، وهو يحاكي الأحداث ، فهو
صوت يوحي بالشدّة ، وهذا يوافق ويجانس الجو العام للآية ، التي ورد ذكر (الذُكران) فيها ، وقد
ساعده على ابراز هذا المعنى وجود صوت (الراء) ، وهو صوت يحاكي التكرار والترجيح ،
ويوحي أيضاً بالركة والرخاوة والثبات والاستقرار والربط بضمّ الأشياء إلى بعضها بعضاً . وهذا
يتوافق تماماً مع الجو الذي تخلقه الآية فكلمة (ذكران) جزء من الكلام في هذا النص القرآني ،
الذي ذكرته آنفاً ، وتتكون هذه الكلمة من مقطعين صوتيين مغلقين : الأول ذ — ك /
والثاني ر — ن ، ولهذين المقطعين صلة وثيقة بينهما ، تظلّ مميزة وواضحة في السمع أثناء
النطق .

الرُّكْبَان :

الرُّكْبَان جمع راكب ، ويجمع أيضاً على (رُكُوب ، ورُكَّاب) (١) ، ويراد به الرَّاكِب للبعير
خاصة ، فركبْتُ الدابة رُكْباً ، ورُكُوباً علوتها (٢) ، وقد بين الصرفيون أنّ القياس في جمع ما كان
على (فَعَل) صحيح العين هو (فُعْلان) (٣) ، وأشاروا إلى أنّ (راكب) يكسّر على (رُكبان) ، ولم
يكسّر تكسير (خاتم) و (تابِل) ؛ لأنّ هذا صفة في الأصل ، (وتابِل) اسمٌ ، ولهذا مؤنث قالوا :
(راكبة) ، اي أنّ اللفظ الذي لا يخاف عليه من الإلتباس يجوز أن يكسّر على فواعل ، و (راكب)
ليس من ذلك (٤) . الذي أريد قوله : إنّ (فاعِل) إذا انتقل من الصفة الى الاسم ك (راكب) الذي
هو مختصّ بـ (راكب البعير) ، وراعِ المختص برعي نوع مخصوص ، ليس كما نرى على طريق
الفعل من العموم ، فإنّه يُجمع في الغالب على (فُعْلان) في الاسم الصريح (٥) . ومِمّا جاء منه
في القرآن الكريم قوله تعالى : ((فَرَجَالاً أَوْ رُكْبَاناً)) (٦) .

١- ينظر : شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ٤ / ٢٦١٢ .

٢- ينظر : المقتضب ٢ / ١٠٥ .

٣- ينظر : الموجز في قواعد اللغة العربية ١٥١ .

٤- ينظر : المخصص ٢ / ١٠٥ .

٥- ينظر : شرح شافية ابن الحاجب ٢ / ١٥٢ .

٦- البقرة ٢٣٩ .

الذي يلحظ أنَّ (الرُّكُوب) عامٌّ في كلّ ما يُرْكَب ، أمّا (الرُّكبان) فيراد بهذا الجمع صنف من (الرُّكُوب) دون غيرهم ، ويغلب على جمع (فُعْلان) التخصيص.

وأودّ أن أشير هنا إلى أنَّ الأصوات المكونة للفظ (ركبان) يوحي كلّ واحد منها بإيحاءات معينة ، إلاّ أنّها جاءت هنا مجتمعة لتوحي بما يكون مناسباً ومنسجماً مع جو الآية. أما المعاني الأخرى التي يوحي بها كلّ حرف من حروف (ركبان) في غير هذه اللفظة فقد أهمل ، ومن دون النظر إلى موقع الحرف في الكلمة ، سواء أكان في أولها أم في آخرها أم في وسطها . فالمعنى المأخوذ جاء بحسب ما يناسب معنى الآية.

فإيحاءات أصوات هذه الحروف ، وما تحمله من دلالات تتسجم والسياق العام لهذه الآية ، فصوت (الكاف) لِمَا يمتاز به من شدة وقوة جاء محاكياً لهذه الأحداث القوية أو الثقيلة والعنيفة ، لاسيما أنَّ (الركوب) يستدعي جهداً وقوة ، بدليل اقترانه بـ (رجال) في النص القرآني الوارد ذكره هنا. وقد جاء صوت (الراء) منسجماً مع الكاف في ذلك ؛ لكونه صوتاً يوحي بالترار والتحرك ، بما يتوافق مع الخصائص الحركية له ، وكلّ ذلك تمّ مع مدّ للصوت باستعمال (الألف) المدية ، مع وجود حرف (النون) ، الذي يتميز بقوة اسماع عالية .

وعليه فإنّ كلّ تلك الأمور مجتمعة ساعدت على إعطاء إيقاعاً موسيقياً جميلاً ، تطرب له الأذن ؛ ليأنس له القلب ويخشع ، فضلاً عما حقّته أحرف هذه الكلمة _ اعني الرُّكبان _ من بيان شدة العلاقة بين صوت الحرف ، ورسم الصورة مع ما اشتملت عليه من الطلاوة والرونق.

أمّا المقطعان الصوتيان اللذان جاءت بهما (رُكبان) فهما : رُ ك / ب ن ، وكلاهما جاء مغلقاً إلاّ أنَّ الأول منهما قصير ، والثاني طويل ، وهذا التنوع في القصر والطول بالمقاطع الصوتية إنّما يدلّل على أنَّ اللغة العربية ، التي هي لغة القرآن تتميز بإيقاع خاص ، وهو الإيقاع الكمي ، لاسيما أنَّ هذا الإيقاع يقوم على المقاطع الصوتية المنبورة وغير المنبورة ، وعلى المقاطع الصوتية الطويلة والقصيرة ، وهذا ما أجده قد تحقّق في هذه اللفظة ، والله اعلم.

الرَّهْبَان :

الرَّهْبَان : جمع راهب ، وهم الزهاد والعباد (١) ، قال سيبيويه : ((ما كان على فاعلٍ صِفَةً ، فأَجْرِي مُجْرَى الأَسْمَاء كُسِّرَ على (فُعْلان) كما يَكْسَرُ عليه الأَسْمَاء (٢))) . فالرهبان جمع راهب ، وقد جاء على صيغة (فُعْلان) (٣) .

أما ابن دريد فقد ذكر أنَّ الرَّهْبَانِيَّة مصدرُ الراهب . والترهيبُ : التعبدُ في صَوْمعة . والجمع (رهبان) ، وَمَنْ قال : الرهبانة فقد أخطأ (٤) . قال تعالى : ((ورهبانية ابتدعوها)) (٥) ، اي انهم انهم كانوا يرون من ملوكهم ما لا يصبرون عليه ، فاتخذوا اسراباً وصوامعَ وابتدعوا ذلك الرهبان (٦) ، (الرهبانية) هـي ترهبهم في الجبال فارين من الفتنة في الدين ، مخلصين أنفسهم للعبادة ، وذلك أَنَّ الجبابة ظهرت على المؤمنين بعد موت عيسى _ عليه السلام _ فقاتلوهم ثلاث مرات ، فَقَتَلُوا حتى لم يبقَ منهم إلا القليل ، فخافوا أن يفتتوا في دينهم ، فاخترتوا الرهبانية : وهي الفعلة المنسوبة إلى الرهبان ، وهو الخائف : فعْلان من رهب ، كخشيان من خشى ، فـ (الرهبان) هو جمع راهب ، وانتصاب الرهبانية هنا جاء بفعل مضمَر يفسره الظاهر (٧) .

فكلمة (رهبان) تصدّرت بصوت (الراء) ، الذي أُرْدِفَ بصوت (الهاء) ، ولا ينكر ما يوحي به صوت الراء من فزع وخوف يتوافق مع مظاهر الاضطراب التي تنتاب من يتعرض لهذه الحالات الشعورية ، فكيف به إن اقترن بصوت (الهاء) ، الذي يعدُّ من أشجى الأصوات وأبلغها في التعبير عن مشاعر الاهتزازات المؤثرة بالاضطراب ، والاهتزاز ، لاسيما أنَّها إن لُفِظَتْ باهتزازات رخوة مضطربة ، تكون قد أوحى بمشاعر إنسانية ينتابها الحزن واليأس والضياع . ولو عدنا للفظ (رهبان) لوجدنا فيها صوتي (الالف) و (النون) ، وهما صوتان يتميزان بقوة إسماع عالية ، كل ذلك جاء منسجماً لحالة الفزع والخوف التي كانت تنتابهم حين فرّوا من الفتنة في الدين ، وهذه

١- ينظر : شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ٤ / ٢٦٥٦

٢- المخصص ٢ / ١٠٥ .

٣ - ينظر : الفائق في غريب الحديث والأثر ١ / ٥٥ .

٤- ينظر : تهذيب اللغة ٦ / ١٥٥ .

٥- الحديد ٢٧ .

٦- ينظر : لسان العرب ١ / ٤٣٧ .

٧- ينظر : الكشف ٤ / ٤٧٩ .

المعاني تتوافق وتتسجم مع حال الذين فرّوا من الفتنة ، واخذوا يدعون ربّهم بالرحمة والمغفرة ،
ويثنون عليه فهم في حالٍ من الضعف والخضوع والخشوع والتضرّع. ولم تكن المقاطع الصوتية
لكلمة (رهبان) مغايرة لما ذُكر من مقاطع لبقية الجموع التي درست في هذا البحث ، بدليل أنّها
جاءت على مقطعين صوتيين ، وعلى النحو الآتي :

رُ هـ / ب ن .

قصير مغلق + طويل مغلق .

الصَّنَوَان :

الصَّنَوَان جمع لـ (صِنُو) ^(١) ، وهو المثل كما جاء في الحديث النبوي الشريف (عَمَّ الرجل
صِنُو أبيه) ^(٢) ، أي : مثله ^(٣). قال أبو البقاء العكبري : ((ف (صِنَوَان) جمع (صِنُو) وقد سلم
فيه لفظ الواحد ، وليس بجمع صحيح قيل سلامته أمرٌ اتَّفَاقِي ، و أنّما هو مكسّر على (فِعْلَان) ،
والتحقيق أنّ الكسرة في أوله وسكون ثانيه في الجمع غيرهما في الواحد ؛ لأنّ هذا الجمع قد يكون
واحد على غير زنة (فَعْل) نحو غراب و غريان)) ^(٤) . فالصِنُو ، هو الفرع يجمعه وفرعاً آخر
أصله واحد . ^(٥) والصَّنَوَان إذا ما أطلق في القرآن الكريم أريد به (النخل) ، قال تعالى : ((وَزَرَعُ
وَزَرَعٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ)) ^(٦) . أي النخلتان أو الثلاث أو أكثر ، يكون أصلهن واحداً
^(٧) ، ولم يقتصر الأمر على النخل في غير القرآن بل يطلق على ما كان من الأشجار كذلك :
صنوان أيضاً ^(٨) . وقد جاءت (صنوان) الوارد ذكرها في القرآن الكريم على أكثر من قراءة ، فقرأ

١- ينظر : تفسير اللباب لابن عادل ١ / ٢١٤٣ .

٢- صحيح مسلم ٦٩٥/٢ .

٣- ينظر : تفسير اللباب لابن عادل ١ / ٣٠٤٥ .

٤- اللباب في علل البناء والإعراب ١ / ١١٢ .

٥- ينظر : تفسير اللباب لابن عادل ١ / ٣٠٤٥ .

٦- الرعد ٤ .

٧- ينظر : شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ٦ / ٣٨٣٥ .

٨ - ينظر : المصدر نفسه ٦ / ٣٨٣٥ .

أبو عبدالرحمن السلمي^(١) ، وزيد بن علي^(٢) : بضمها ، وهي لغة قيس ، وتميم^(٣) . وقرأ الحسن ، وقتادة : بفتحها ، وهو اسم جمع لا جمع تكسير ؛ لأنه ليس من أبيه (فعلان) هذا جمعه في الكثرة، وأمّا القلة فيجمع على (أصْنَاء)^(٤) . ولعلّ ذلك قد حُمِلَ على (الباقر) و (الجامِل) و (الدابر) ، ولاسيما أنّ قطرباً لم يحك فتح الصاد ، وكذلك أبو حاتم السجستاني ، وعليه فإن صحّ فتح الصاد من (صنوان) فهو اسم للجمع لا مثلاً من أمثلة التكسير^(٥) . أمّا القراءة الثالثة - وهي الأشهر - فهي القراءة بـ (الكسر) ، وهي لغة الحجازيين ، تكسير (فعل) على (فعلان)^(٦) . قال رضي الدين الاسترأبادي : ((إنّ ما كان على فعل فإنه يجمع في القلة على أفعال ، في الصحيح كان أو في الأجوف أو غيرهما ، وربما كان أفعال لقلة))^(٧) . وأودّ أن أذكر هنا أنّ جمع القلة لا يُعدّ أصلاً في الجمع ؛ لأنه لا يذكر إلّا حيث يراد بيان القلة ، وعليه فهو لا يستعمل لمجرد الجمع والجنسية كما يستعمل له جمع الكثرة^(٨) ، ولعلّ ذلك هو ما يقف وراء استعمال القرآن الكريم لـ (صنوان) جمعاً لـ (صنو) بدلاً من (أصناء) ، والله أعلم.

نلاحظ ممّا سبق أنّ لفظ (صِنوان) جاء متكوناً من مقطعين صوتيين هما :

ص - ن / و - ن

قصير مغلق + طويل مغلق

وأنّ هذين المقطعين الصوتيين جاءا على ايقاع متقارب ، وموسيقى منتظمة ، تطيب لها النفس وتستريح بسبب ما فيها من ترنّم ؛ لوجود حرفي الواو والنون فيهما .

-
- ١- عبدالله بن حبيب بن ربيعة ، ابو عبدالرحمن السلمي ،مقريء الكوفة، قرأ القرآن على كبار الصحابة منهم عثمان بن عفان(رض) وعلي بن ابي طالب (رض)، وابن مسعود، وسمع لهم، توفي في حدود الثمانين للهجرة. ينظر: معرفة القراء الكبار ٢٧/١ ،نكت الهميان في نكت العميان ١/١٥٨.
 - ٢- زيد بن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب بن عبدالمطلب، قتل يوم الاثنين لليلتين خلتا من صفر ستة عشر ومائة، وكان له يوم قتل اثنتان وأربعون سنة . ينظر: الطبقات الكبرى ٥/٢١٥، النقات لابن حبان ٦/٣١٣.
 - ٣- ينظر : المحتسب ١/ ٣٩٠.
 - ٤- ينظر : تفسير اللباب لابن عادل ١ / ٣٠٤٥.
 - ٥- ينظر : المحتسب ١ / ٣٥٢.
 - ٦- ينظر : المصدر نفسه ١ / ٣٩٠.
 - ٧ - شرح شافية ابن الحاجب ١ / ٤٢١.
 - ٨- ينظر : اللباب في علل البناء والإعراب ١ / ١١٢.

أما حروف الكلمة فقد أعطت لونا إيقاعياً ظاهراً وبيئاً ، وأنّ الترتّم بحرف (الواو) ، و(النون) الذي ختمت به الكلمات أعطى جمالاً صوتياً خاصاً ، أدّى إلى التمكن والتطريب ، وقد ساعدهما على إبراز هذا النغم الموسيقي وجود صوت المد (الالف) ، لما يتميز به من قوة إسماع عالية. وهذا يدل على أنّ القرآن قد راعى الجانب الموسيقي ، الذي تؤدّيه مجاورة هذه الأصوات بعضها لبعض ، فضلاً عن مراعاتها لما يقتضيه المعنى من جانب آخر ، وهذا في غاية الإعجاز ، والحسن في الكلام . من هنا نرى الإعجاز البياني للقرآن الكريم في اختياره للألفاظ بدقة ، بحيث لا يمكن أن نستبدل لفظاً بآخر من دون أن يتغير المعنى ، أو يتغير التركيب والنظم والإيقاع الجميل.

العُمَيَّان :

العُمَيَّان : جمع (اعمى) (١) ، ويكثر هذا الجمع - الذي وزنه فُعْلان - في وصف (أفعل فعلاء) ولهذا الوصف جمع آخر ألا وهو (فُعْل) ، ويكون مطرداً فيه (٢) . فالجمع الذي على صيغة (فُعْلان) يفيد التخصيص في الصفات ، وعليه فد (العميان) يغلب عليه الاسمية ، إذا يراد منهم هؤلاء الصنف من الناس الفاقدي البصر (٣) ، في حين أنّ (العُمَي) يغلب عليه الوصفية ، في إشارة إلى فقدان البصيرة (٤) . وجمع (فُعْل) من مجموع الكثرة ، فجاءت (العُمَي) للدلالة على الوصفية ، ومثل ذلك قولنا : السود ، ونريد كلّ جمع يتصف بالسود ، ك (ثيابٌ سود) ، و(أحجار سود) ، قال أبو زيد أحمد بن سهل (٥) : ((بيض وسُود وحمَر في الجمع الأدنى ، فإن جمع منه شيء في الجمع الأقصى كان على وزن فعْلان ، وهو جمع ، وهو بيض بيضان ، وسود وسودان ، وعمى وعميان ، وبرص وبرصان ، وكذلك القياس في كله)) (٦). قال تعالى : ((وَمَا

١- ينظر : شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ٧ / ٤٧٦١ .

٢- ينظر : غريب الحديث لابن قتيبة ٢ / ٥٣ ، ينظر : شرح شافية ابن الحاجب ٢ / ١٦٩-١٧٠ .

٣- ينظر : معاني الابنية ١٥٨ .

٤- ينظر : دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني ٢٦٨ .

٥- أبو زيد ، أحمد بن سهل البلخي ، ت ٣٢٢هـ ، ويعتبر من مؤسسي علم الجغرافية في العالم الاسلامي ، وجمع بين الشريعة والفلسفة والأدب والفنون ، ولد في قرى بلخ . ينظر : الفهرست ١ / ١٧٠ ، الوافي والوفيات ٦ / ٢٥١ ، ٢٥٣ .

٦- صيغته فعْلان واستعملاتها في اللغة العربية ٤٠ / ١٤٨ .

وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ ((^(١)، وقال أيضاً : ((أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصَّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمَْى))^(٢)، فجاء بجمع (العُمَى) في سياق ذكر الكافرين ؛ لأنَّ المراد من عَمَاهُمْ هو عدم اهتدائهم إلى الحقّ ، فحسن مجيء الجمع الذي يدلّ على عمايتهم. أمّا (الْعَمَيَّانِ) فهو أحد جموع الكثرة أيضاً ، وقد صلح مجيؤه في القرآن الكريم على أصله في التخصيص بصنف المنطقية عيونهم خلقه ، أي إرادة هؤلاء الصنف من الناس ، قال تعالى : ((وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا))^(٣) ، فالآية القرآنية هنا ((تشير إلى أنهم ليسوا كالعميان ، فمن تشريفهم أنّه لم يذكر معهم الجمع الخاص بعُمَى القلب ؛ وإنّما اقتصر على ذكر عُمَى العين ، فضلاً عن ذلك إنّ التشبيه في هذا الموضع حسيّ ، أي : إنّهم لا يقعون كوقوع العميان ، لقوله : (لَمْ يَخِرُّوا) ؛ إذا الخرور السقوط^(٤)... وهذا التشبيه لا ينتظم معه عُمَى القلب ؛ لأنّه معنويّ غير محسوس ، فانظر إلى بيان الآية كيف جمع المحسوس إلى لغة صنوّ ؟ ! فأتى بالعميان مع الخرور))^(٥).

وعليه فالجمع على صيغة (فُعْلان) يكون جمعاً قياسيّاً لما كان مفردة على صيغة (فَعْل) من الأسماء لا الصفات ، وخروج بالاسم الصفة ، فلا تجمع على هذا الوزن - أعني فُعْلان- ما كان مثل : ضَحْمٌ ، وَجَمِيلٌ ، وَبَطْلٌ^(٦). فإن قيل : لِمَ جُمِعَ ما جاء على (فُعْل) في الاغلب على (فُعْلان) ؟ ((قيل : لأنَّ (فُعْلًا) مقصور من (فُعَال) وما كان على (فُعَال) فإنّه يُجْمَع على (فُعْلان) ؛ نحو : غُرَابٌ وَغُرَبَانٌ ، وَعُقَابٌ وَعُقَبَانٌ ، وكذلك ما كان مقصوراً منه يجمع على (فُعْلان)).^(٧) فلفظة (عميان) جاءت متكونة من أحرف ، يمثل حرفا النون والميم جزاء منها ، وهما وهما حرفان متشابهان في جميع الصفات ماعدا المخرج ، فضلاً عن أنّهما من حروف الغنة ، التي تتمتع بموسيقى عالية تستسيغها الأذن وتطرب إليها ، وفي الوقت نفسه تصدر هذه الكلمة

١- النمل ٨١.

٢- الزخرف ٤٠.

٣- الفرقان ٧٣.

٤- الصحاح ٦٤٣/٢.

٥- دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني ٢٦٨.

٦ - ينظر : صيغة فعلان واستعمالاتها في اللغة العربية ٤٠ / ١٤٨.

٧- اسرار العربية لأبي البركات الانباري ١٢٥.

أحد حروف الحلف ، وتوسّط بينهما - أعني بين الميم والنون - حرفا (الياء) و (الالف) ، وكلاهما ممّا يتميّز بقوة إسماع عالية ؛ لذا جاءت ذبذبة الوترين الصوتيين متغيرة ، وهذه الذبذبة أحدثت نغمة موسيقية تميّزت ببروزها ، كون منابع موسيقى الكلام نجدها قد تآلفت أصوات حروفها في هذه اللفظة. وعليه فلفظة (عميان) التي جاءت متكونة من مقطعين :

ع ـ م / ي ـ ن

قصير مغلق + طويل مغلق

وخمسة أصوات ، بارزة في وضوحها السمعي ، كلّ ذلك جعل لهذه اللفظة قيمة ذاتية تكتسب أهميتها من خلال تلاؤمها مع جميع الألفاظ ، لتكسب الكلام نغماً معيناً تهشُّ له النفوس .
الذي أريد قوله : إن (عميان) تميّزت بإيقاع كشف عن أنّ (العمى) هنا ليس عمى القلب بل عمى العين ، وما هذا إلا تشريفاً لهم . لاسيّما أن الأصوات التي جيء بها هنا تجعلها أقدر على إحداث تأثيرات نفسية أشبه بالتأثير الذي يُحدثه اللحن الموسيقي ، وتبدو فاعلية حروف الكلمة هنا فيما تُحدثه من تنوع موسيقى في الطول والقصر .

الفتيان :

الفتيان : جمع فتى من الناس ^(١) ، كإخوان وإخوة في (أخ) ، و (فعلة) للقلة . و (فعّالان) للكثرة ^(٢) . قال تعالى : (وَقَالَ لِفَتْيَانِهِ اجْعَلُوا بَضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) ^(٣) ، فقرأ حمزة والكسائي ، وحفص عن عاصم (لفتيانهم ، بالالف مثل جار وجيران) ^(٤) ، وهو اختيار أبي عبيدة ^(٥) .

فقال لفتيانهم ؛ أي لغلمانهم الكياليين لعلهم يعرفون حقّ ردّها ، وحفظ التكريم بإعطاء البدلين إذا انقلبوا إلى أهلهم ، وفزعوا ظروفهم ، لعلّ معرفتهم بذلك تدفع بهم إلى الرجوع إلينا ، وكانت بضاعتهم آنذاك النعال و الادم ^(٦) .

١- ينظر : شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ٨ / ٥٠٨٧ ، ومعجم ديوان الادب ٤ / ٦٨ .

٢- ينظر : الكشف ٢ / ٤٥٧ .

٣- يوسف ٦٢ .

٤ - ينظر : حجة القراءات ٣٦١ ، التيسير في القراءات السبع ١٢٩ .

٥ - ينظر : مجاز القرآن ٢ / ١٣٤ وشمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ٨ / ٥٠٨٧ .

٦- ينظر : الكشف ٢ / ٤٥٧ .

وعليه فالفتية جمع قلة على وزن (فَعْلَة) ، والفتيان جمع كثرة على وزن (فَعْلان) ، ولم يكن مجيء الفتيان هنا من باب التناوب ؛ لأن جمع القلة ليس بأصل في الجمع ، وإنما يراد به القلة ، فلا يستعمل لمجرد الجمعية والجنسية كما يستعمل له جمع الكثرة ؛ لذلك يصحّ أن يقال : هو أنبل الفتيان ، ولا يقال هو أنبل الفتية مع قصد بيان الجنس ^(١).

ولاسيما أن أبناء يعقوب من الذكور كان يبلغ (١٢) ولداً ، وهذا العدد موافق لاستعمال صيغ جمع الكثرة لا جمع القلة ، إذ صرح الصرفيون بأن أوزان جمع القلة تطلق على الأعداد التي لا تقلّ عن ثلاثة ولا تزيد عن عشرة .

فنرى التعبير بكلمة (فتيان) ، والحروف المتكونة منها قد أوحى إلى شدة وقع جريمة أبناء يعقوب وقبحها بحق أخيهام في نفس عزيز مصر (يوسف) - عليه السلام - فقد جاءت هذه اللفظة بمؤشرات دلالية و صياغة لفظية ، وتتأسق في السكّنات والحركات دلّت على المعنى وأوحت إليه ففي هذا الحوار حوار سيدنا يوسف - عليه السلام - مع الذين يعملون بإمرته استعمال عجيب لحروف الكلمة ، إذ مدّ الصوت بحروف الألف المسبوق بالياء الدال على ((الانفعال المؤثر في البواطن)) ^(٢)، فضلاً عن استعمال حرف الغنة النون ، كلّ هذا جاء ليؤدي إلى استعطاف يوسف - عليه السلام ، وامتصاص غضبه ، وكانت هذه الأصوات المستعملة في لفظة (فتيان) أدلّ على المعنى بما أوحى إليه وأفصح عنه التنغيم ، والتناسق الصوتي ، المتحقق من الملائمة بين حروف الكلمة ، فضلاً عن التقطيع المقطعي لها ، لاسيما أنّها تكونت من مقطعين صوتيين : الأول قصير مغلق ، والثاني طويل مغلق ، وعلى النحو الآتي : ف - ت / ي - ن ولا يخفى هنا ما قدّمه صوت الفاء من تصدّره لهذه الكلمة ، كون الفاء إن حرّكت جعلت الأمر يكون أكثر انتباهاً ، لاسيما أنّها جمعت بين صفات الرقة والوهن والضعف الممزوجة بالانفعال المؤثر في البواطن الذي نتج عن مدّ الألف المسبوق بالياء المفتوحة.

١- ينظر : شرح شافية ابن الحاجب ٢ / ٦٢.

٢ - المدخل اللغوي في نقد الشعر ١٠١.

القنوان :

القنوان جمع لـ (قَنُو) ، وهو العِذْق ^(١) ، قال أبو عبيدة : (((القنوا) هو العِذْق ، والاثنان : قنوان ، النون مكسورة ، والجمع (قُنُونٌ) على تقدير لفظ الاثنين ، غير أن نون الاثنين مجرورة في موضع الرفع والنصب والجـر ، ونون الجمع يدخله الرفع والنصب والجـر)) ^(٢).

فمن قال : (قَنُو) فإنه يقول للاثنين : (قُنُونٍ) بالكسر ، والجمع (قُنُونٌ) بالضم ^(٣) ، وأشار النحاس الى أنهما عند الفراء لغتان فأهل الحجاز يقولون : قنُون بالكسر ، وقيس تقول : قُنُون بالضم ^(٤).

وربما يفهم أن الكسرة التي جاءت في (قنوان) هي نفسها التي كانت موجودة في (قنو) ، ولكن الأمر ليس كذلك ؛ لأن تلك قد حذفت في التكسير ، وعاقبتها كسرة أخرى ، قال الاستراباذي (ت ٦٨٦هـ) : ((وهذا مما توضحه الضمة في آخر (منصُور) على قول من قال (يا حارُ) يعني بالضم التي كانت فيه في قول من قال : (يا حار) يعني بالكسر)) ^(٥).

فضلاً عن أن الجمع الذي في (قنوان) مفهوم من صيغته أي من (فعلان) لا من الألف والنون بخلاف الزيادتين اللتين في (الكتابين) أو في (الزيدتين) ؛ لأن الجمع فهم منهما هنا ، ولاشك أن هذا الفعل من محاسن علم التصريف. هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإذا وقف على (قنوان) المثني رفعاً ، وعلى قنوان جمعاً وقع الاشتراك اللفظي ، وإذا وصلت وقع الفرق ، وجعل الأعراب على النون حال جمعه ، وتكسر النون في التنثية . فالقنوان إذا ما أطلق في القرآن الكريم أريد به الجمع ، قال تعالى : ((وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ)) ^(٦) ، فقرأ الجمهور والأعمش والخفاف عن أبي عمرو بكسر القاف سائداً إياها إلى أهل الحجاز ، وهذه هي اللغة الأولى فيها ، حين قرأها الأعرج بالضم سائداً إياها إلى قيس ، وهذه هي اللغة الثانية فيها ^(٧).

١- ينظر : شمس العلوم ٨ / ٥٦٤٣.

٢- مجاز القرآن ٢٠٣.

٣- ينظر: تاج العروس ٣٩ / ٣٥١.

٤- ينظر : أعراب القرآن للنحاس ٨٥/٢-٨٦. ولم أعثر على كلام الفراء في كتبه.

٥- شرح شافية ابن الحاج ١/٤٢١. ولم أعثر على كلام الواحدي كتبه .

٦- الأنعام ٩٩.

٧- ينظر : تحفة الأقران في ما قريء بالتثنية من حروف القرآن ١٣٦ ، تفسير اللباب لابن عادل ١ / ٢١٤٣.

ونقل ابن عطية عكس هذا ، فجعل الضم لغة (الحجاز) ، إذ قال : ((وروي عن الأعرج ضمّ القاف على أنه جمع (قُنُو) بضم القاف))^(١). علماً أنَّ الضم هي لغة قيس، والكسر لغة اهل الحجاز ، والكسر أشهر في العربية^(٢).

واللغة الثالثة (قَنَوَان) بفتح القاف ، وهي قراءة أبي عمرو ، في رواية هارون عنه^(٣)، وذكر وذكر ابن جني أنها اسم جمع (قنو) لا جمعاً ؛ اذ ليس في صيغ الجمع ما هو على وزن (فعلان) بفتح الفاء^(٤).

وربّما يكون ذلك قد أتى كون أنَّ المفرد قد سُمِع فيه كسر القاف وضمها ، فجاء الجمع عليها، في حين أنَّ الفتح لم يرد في المفرد ولذلك لم يجيء الجمع عليه ، واللغة الرابعة (قنيان) بضم القاف مع الياء دون الواو^(٥).

والخامسة : (قَنِيَان) بكسر القاف مع الياء ايضاً ، وهاتان لغتا (تميم) و(ربيعة)^(٦)، وأمّا المفرد فلا يكون بالياء بل بالواو ، سواء كُسِرَت القاف أو ضُمَّت ، فلا يقال إِلَّا قِنُواً وَقُنُواً ، ولا يقال : قَنِياً ولا قُنِيّاً ، فخالف الجمع مفرده في المادة، وهو غريب ، واختلف في مدلول (القنو) ؛ قيل : هو الجُمَار ، وهذا يكاد يكون غلطاً ، وكيف يوصف بكونه دانياً ؛ أي قريب الجَنَى والجُمَار إنما هو في قَلْب النخلة ؟ والمشهور أنَّه العِذْقُ كما تقدم ذلك^(٧) .
ويقال له : الكِبَاسَةُ^(٨). قَالَ امرؤ القيس^(٩):

وَفَرَعَ يُعْشَشِي الْمَثْنَ أَسْوَدَ فَاحِمٍ
أَثَيْتَ كَقِنُو النَّخْلَةِ الْمُتَعَتِكِلِ

١- ينظر : المحرر الوجيز ٢ / ٣٢٨ .

٢- ينظر : أعراب القرآن للنحاس ٨٥/٢-٨٦. ولم أعثر على كلام الفراء في كتبه.

٣- ينظر : المحتسب ١ / ٣٥٢.

٤- ينظر : تفسير اللباب لابن عادل ١ / ٢١٤٣.

٥- ينظر : المصدر نفسه ٢١٤٣.

٦- ينظر : المصدر نفسه ٨ / ٣١٧.

٧- ينظر : الجامع لأحكام القرآن ٧ / ٤٨.

٨- ديوان امرؤ القيس ١٦.

٩ - ينظر : علم الأصوات اللغوية للدكتور مناف مهدي ٨٣.

نلاحظ في هذه اللفظة (قنوان) أنَّ صوت النون قد تكررت مرتين فيها ، وحرف النون أشبه بحروف المد لِمَا فيه من موسيقى عالية ، فهو صوت مجهور ، وكثيراً ما يراد للدلالة على الرشاقة والأناقة والاستقرار ، ولاستكانة ، والخشوع ، والضَّعْف . وهذه المعاني تتسجم مع معنى هذه اللفظة ، والمكان الذي وضعت فيه ، ف (القنوان) في قلب النخلة ، وكلَّ ما ذكرته يكون مكانه القلب ليس إلّا. وقد آزر صوت (النون) صوت آخر ، هو صوت (القاف) ، إذ عمل معه على إبراز ومحاكاة الأحداث التي بينتها الآية القرآنية ، التي وردت لفظة (قنوان) فيها ، ف (القاف) صوت يدلّ على الشدة والقوة ؛ لأنَّه يتصف بهذه الصفات ، فهو صوت انفجاري (شديد) ، فضلاً عن اتصافه ب (القلعة والاستعلاء). ولا يخفى ما قدّمه صوت (الألف)- وهو من حروف المدّ والاستطالة - من تأثير في المسار الإيقاعي لِمَا يتميز به من خصائص موسيقية ، وما أضفى على الكلمة من تنوع مقطعي في الطول والقصر ، فكلمة (قنوان) جاءت على مقطعين هما :

ق — ن / و — ن .

قصير مغلق + طويل مغلق.

الولدان :

الولدَانُ : جَمْعُ الْوَلَدِ ، ونظيره مِمَّا جاء على (فَعِلٍ) ، و (فِعْلَانِ) ، نحو : حَرْبٍ وحَرْبَانِ ، وَوَرِكٍ وَوَرِكَانَ ، كذلك (وَلَدٌ) ، و (وَلْدَانِ) ^(١).

والوَلَدُ هو الابن والابنة ، والوَلْدُ : هم الأهل والوَلَدُ ، وقيل : بَطْنُهُ الذي هو مِنْهُ ، ف (الوَلْدُ) : هو ما ذكر في القرآن الكريم في غير موضوع مع المال ، قال تعالى : ((الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)) ^(٢). وقال تعالى : ((إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ)) ^(٣). وقال : ((إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ)) ^(٤).

١- ينظر : مفاتيح الغيب ، التفسير الكبير ١٠ / ١٤١.

٢- الكهف ٤٦.

٣- الأنفال ٢٨.

٤- التغابن ١٤.

فالوُلْدُ يجوز أن يكون واحداً وجمعاً ك (أَسَد) و (أَسَد)^(١) . وقد ذكر رضي الدين الاستراباذي بأنَّ المسموع في قلة (فَعَلَ) في غير الأجوف (أَفْعَال) ، وفي كثرته (فِعْلان) بالكسر وفعلان بالضم إلاَّ أنَّ فِعْلان بالكسر أقلهما^(٢) .

أما (وُلْدَة) فهو جمع (وَلَد) ؛ لأنَّ الوَلَدَ وأن كان قد يستعمل للكثرة ، فلا يُنكَر أن يقع على الواحد فُجْمِعَ على (فِعْلَة) ، كما جُمِعَ أَخٌ على إخوة في العدد القليل ، وفي الكثير على فعلان^(٣) .

ومِمَّا جاء منه في القرآن الكريم على (فِعْلان) للدلالة على الكثير قوله تعالى : ((يجعلُ الوِلْدَانِ شِباباً))^(٤) ، ك (إخوان) في قوله تعالى : ((إخواناً على سُرُرٍ))^(٥) . وإن كان كذلك لم يكن للاعتلال عليه طريق ؛ لأنَّه ليس بمصدر ، فأما لِدَّةٌ فمصدرٌ^(٦) .

ف (الولدان) الوارد ذكرهم في سورة (الحجر ٢٧) ، هم قومٌ من المسلمين يطلق عليهم (المستضعفين) ، بقُوا بمَكَّة ، وعَجَزُوا عن الهجرة الى المدينة ، وكانوا يَلْقَوْنَ من كُفَّارِ مَكَّة أذى شديداً . قال ابنُ عَبَّاسٍ : ((كنت أنا وأمِّي منَ المستضعفين من النساء والوِلْدَانِ))^(٧) .

قال الزمخشري : ((ويجوز أن يُراد بالرجال والنساء الأحرارُ والحرائِرُ ، وبالولدان العبيد والإماء ؛ لأنَّ العَبْدَ والأَمَةَ يقال لهما : الوليدُ والوليدةُ ، وجمعهما الولدان والولائد ، إلاَّ أنَّه جعلها هنا الولدان جمعاً للذكور والإناث تغليبا للذكور على الإناث ، كما يقال (آباءٌ وإخوةٌ)^(٨) ، وعليه فإنَّ ذكر الله تعالى ل(الولدان) هنا جاء مبالغةً في شرح ظُلْمِهِمْ لاسيما أنَّ أذاهم بلغ (الولدان) غير المُكَلَّفِينَ إرغاماً لآبائهم وأمَّهاتهم ، وَمَبْغَضَةً لهم بمكانهم ، فضلاً عن أنَّ المستضعفين كانوا يُشْرِكُونَ صبيانهم في دُعائهم استنزالاً لرحمة الله بدعاء صغارهم الذين لم يُذنبُوا ، كما وردت السُّنَّةُ

١- ينظر : المخصص ٤ / ٢٦٩ .

٢- ينظر : شرح شافية ابن الحاجب ١ / ٤٤٤ و ٤٤٨ .

٣- ينظر : صيغة فعلان واستعمالاتها في اللغة العربية ٤ / ١٤٤ .

٤- المزمّل ١٧ .

٥- الحجر ٤٧ .

٦- ينظر : المخصص ٤ / ١٤٤ .

٧- التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) ١٠ / ١٤١ .

٨- الكشف ١ / ٥٦٦ والتفسير الكبير (مفاتيح الغيب) ١٠ / ١٤١ .

بإخراجهم في الاستسقاء ، وقد حكى الله تعالى عن هؤلاء اعني المستضعفين - انهم كانوا يقولون: ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها ، واجعل لنا من لدنك ولياً ، واجعل لنا من لدنك نصيراً^(١).

ولاشكَّ فإنَّ مدَّ الصوت باستخدام الالف المدية مع وجود حرف (الواو) قد اعطى الآية إيقاعاً موسيقياً جميلاً ، تطرب له الأذن ليأنس له القلب ويخشع ، وينسجم مع الحال الضراعة الذين هم عليه ، فلفظة (ولدان) جاءت متكونة من مقطعين صوتيين هما : و - ل / د - ن ، الاول قصير مغلق ، والثاني طويل مغلق ، وهذا التكرار المقطعي المغلق يدلُّ على إدراك الجمال الصوتي ، الذي اعطته هذه اللفظة ، لِمَا لذلك من قيمة موسيقية ، فضلاً عن شدّة العلاقة بين أصوات هذه الحروف ، ورسم الصورة مع ما اشتملت عليه من الطلاوة والرونق ، الذي ليس في قدرة البشر الإتيان بمثله .

ونرى هنا أنَّ الأصوات في (الولدان) قد حقّقت وحدة بيان الايقاع الصوتي ، والنّظم الفني، وساعدت في بيان الجانب الدلالي للنصّ القرآني ، الذي وردت فيه ، إذ لو تغيرت هذه اللفظة بلفظة أخرى ؛ لأختلَّ المعنى والايقاع ، ولم يتحقّق المعنى المقصود ولا أغراضه .

الخاتمة

الحمد لله الذي مَنَّ علينا بفضلِه فوصل البحث إلى ختامه ، أسأله تعالى أن يكون عملاً صالحاً اتقرب به إليه ، وان يجعلني من القائلين بالقرآن لا من المقتولين فيه ، وقد أنجز هذا العمل فكانت خلاصته النتائج الآتية :

١- إنَّ الجمع الذي جاء على صيغة (فُعْلان) مساو للجمع الذي على صيغة (فُعْلان) في القرآن الكريم .

٢- إنَّ ما كان مفردَه على زنة (فاعِل) من الالف التي ذكرتها لم يجيء جمعه في القرآن الكريم إلَّا على صيغة (فُعْلان) ، ك (راکب ، رُكبان) ، و (راهب ، رُهبان) . في حين اشترك الجمع لما جاء مفردَه على (فَعْل) إذا جاء الجمع به على (فِعْلان) ، كما في (فتى فتيان) و (ولد ولدان) ، وعلى (فُعْلان) ك (ثعب ثعبان) ، و (ذكر ذُكران) .

٣- يؤكِّد البحث أنَّ بناء (فُعْلان) يمثل أحد ابنية جموع التكسير الخاصة بالاسماء لا الصفات ، وما جاء من هذه الصفات على هذا البناء فعلته قرب هذه الصفات من الاسمية ، أو لإرادته الاسمية .

٤- أُطلقت عدَّة تسميات على هذا الجمع الذي هو الجمع الذي على لفظ الاثنين ، وهذه التسميات أو المصطلحات هي : (جمع السلامة) ، و (جمع التصحيح) ، و (الجمع الذي على حدِّ التنثية) ، و (الجمع الذي على هجائيين) ، وقد سُمِّي بجمع السلامة أو التصحيح ؛ لأنَّه صَحَّ فيه الواحد بعينه ، أمَّا علة تسميته بالجمع الذي على حدِّ التنثية ، أو الجمع الذي على هجائيين ، فذلك كون الزيادة فيه هي الألف والنون ، وهما حرفان من حروف الهجاء الثمانية والعشرين يزدان في آخر اللفظ لتغيير دلالاته من المفرد إلى المثنى أي أنك إذا ثنيت الاسم المرفوع زِدَتْ في آخره ألفاً ونوناً .

٥- بيَّن البحث أنَّ المغايرة في أبنية جمع التكسير قد تعود الى المفرد نفسه ، من حيث إنَّه من المشترك ، كما وقع في (عمى العين الباصرة) ، (وعمى القلب) ، فالجمع كفيل بالفصل بين المعنيين .

وربَّما تكون المغايرة مختصة ببناء الجمع نفسه ، من حيث إنَّ المفرد لا يحتمل معاني مشتركة ، ففي هذه الحال يجب ان يتوجه التفريق إلى بنية الجمع نفسه من خلال استعماله

في السياقات التعبيرية ، كما هو الحال في جمع (أخ) على (أخوان) و (إخوة) ، وإنّما يحصل التفريق في هذه الجموع للتمييز بين معاني استعمالها ، ورفع الإلتباس .

٦- أثبت البحث أنّ الجمع بـ (فُعْلان) يفرق بين ما هو عام ، وما هو صنف مخصّص دون غيرهم ، لاسيّما أنّ هذا البناء يغلب عليه التخصيص ، فالصفات إذا جمعت على هذا الوزن اكتسب تخصيصاً ؛ كونها قد حُمِلت على الاسماء ، فمتى ما أُطلق لفظ على صيغة (فُعْلان) أريد به الاسمى لبيان صنف من الناس .

٧- أنّ المقاطع الصوتية التي جاءت بها هذه الألفاظ اشتركت جميعها بأنّ كل لفظة منها تكونت من مقطعين : الاول منهما قصير مغلق ، والثاني منهما طويل مغلق .

٨- إنّ المقطع الصوتي لكل من (ثعبان ، ذكران ، ركبّان ، رهبان ، عميان) كانت قممه هي الهائت القصير (الكسرة) قممها التي وقعت في المقطع الأول .

٩- اقتصر (الجمع الذي على لفظ الاثنين) على صيغتين هما : (فِعْلان) ، و (فُعْلان) والاقتصار على هاتين الصيغتين يكون في القرآن وغيره .

١٠- بلغت الكلمات التي جاءت على هذا الجمع (عشر) كلمات لا غير ، وقد صرّح اللغويون والمفسرون عن كلّ كلمة من هذه الكلمات بأنّها جمع ، أمّا الكلمات التي احتملت أكثر من قول في كونها جمعاً أو غير جمع ، وكانت إلى غير الجمع أقوى فلم أدخلها في هذه الدراسة ؛ لعدم الجزم بمجيئها على الجمع .

١١- أكّد البحث أنّ القرآن الكريم خصّ صيغة جمع بمفرد معين ؛ للدلالة على مادة من المواد ، وخصّ صيغة جمع بمفرد معين ؛ لدلالة على مادة من المواد ، وخصّ صيغة جمع آخر بالمفرد نفسه ؛ للدلالة على مادة أخرى ، فتارة يراد من ذلك قلة وكثرة ، وتارة أخرى لم يرد بها القلة والكثرة ، وإنّما أريد بها المغايرة في معنيين اسماً أو وصفاً أو تخصيصاً .

١٢- أثبت البحث أنّ كلّ مفردة من المفردات لها معنى في حالة إفرادها ، ولكنها تكتسب معنى آخر حيث يتمّ نظمها مع أخواتها (الكلمات) بالنظر إلى الترتيب بحسب التركيب .

-القرآن الكريم

-أولاً : الكتب

-أبنية الصرف في كتاب سيبويه : الدكتورة خديجة عبدالرزاق الحديثي ، ط ١ ، بغداد ١٩٦٥ م .

-أسرار العربية : عبدالرحمن بن محمد أبو البركات الأنباري (ت ٥٧٧هـ) ، ط ١ ، دار الارقام بن أبي الارقام ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ .

-اعراب القرآن ، أبو جعفر أحمد بن محمد بن اسماعيل النحاس ت ٣٣٨هـ ، تحقيق : د. زهير غازي زاهد ، عالم الكتب - بيروت ١٩٨٨ م .

-اوضح المسالك الى ألفية ابن مالك : ابن هشام ابو محمد عبدالله جمال الدين بن يوسف الأنصاري (ت ٧٦١ هـ) ، تحقيق : محمد محي الدين عبدالحميد ، مطبعة السعادة ، مصر .

-البحر المحيط : أبو حيان محمد بن يوسف بن أنثير الأندلسي (ت ٧٥٤ هـ) ، تحقيق : صدقي محمد جميل ، دار الفكر ، بيروت ١٤٢٠ هـ .

-تاج العروس من جواهر القاموس : محمد بن محمد بن عبدالرزاق الحسيني الملقب بمرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ) ، تحقيق : مجموعه من المحققين ، دار الهداية .

-التبيان في إعراب القرآن : أبو البقاء عبدالله بن الحسين بن عبدالله العكبري (ت ٦١٦ هـ) ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، الناشر : عيسى الباي الحلبي وشركاه .

-التحرير والتنوير : محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣ هـ) ، دار النشر ، دار سحنون للنشر والتوزيع ، تونس ١٩٩٧ م .

-تحفة الأقران في ما قرئ بالتثنية من حروف القرآن ، أحمد بن يوسف بن مالك الرعيني القرناطي ت ٧٧٩ هـ ، ط ٢ ، كنوز أشبيليا - المملكة العربية السعودية ٢٠٠٧ م .

-تفسير الثعالبي المسمى بـ ((الجواهر الحسان في تفسير القرآن)) : عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت ٨٧٥ هـ) ، مؤسسه الأعلمي للمطبوعات ، بيروت .

-تفسير الجلالين : محمد بن أحمد جلال الدين المحلي (ت ٨٦٤ هـ) ، وجمال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) ، ط ١ ، دار الحديث ، القاهرة .

- التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) : أبو عبدالله محمد بن عمر الملقب بفخر الدين الرازي (ت ٦٠٦ هـ) ، ط٣ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ١٤٢٠ هـ .
- تفسير اللباب أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي(ت بعد ٨٠ هـ) ، دار النشر ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- التكملة والذيل والصلّة : الحسن بن محمد بن الحسن الصّاغاني(ت ٦٥٠ هـ) ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، مراجعة : الدكتور محمد مهدي علام ، مطبعة دار الكتب ، القاهرة ١٩٧٣ م .
- تهذيب اللغة : محمد بن أحمد الأزهري (ت ٣٧٠ هـ) ، تحقيق : محمد عوض مرعب ، ط١ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ٢٠٠١ م .
- التيسير في القراءات السبع ، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (ت ٤٤٤ هـ) ، تحقيق: اوتوتريزل ، ط٢ ، دار الكتب العربي_بيروت ١٩٨٤ هـ .
- الثقات ، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد التيمي ، أبو حاتم الدارمي ، البستي (ت ٣٥٤ هـ) ، ط١ ، دار المعارف العثمانية ، حيد آباد-الدكن ، الهند ١٩٧٣ م .
- جامع البيان في تأويل آي القرآن : محمد بن جرير بن يزيد أبو جعفر الطبري (ت ٣١٠ هـ) ، تحقيق : احمد محمد شاكر ، مؤسسه الرسالة .
- الجدول في اعراب القرآن الكريم : محمود بن عبدالرحيم صافي (ت ١٣٧٦ هـ) ، ط٤ ، دار الرشيد ، دمشق - مؤسسة الإيمان ، بيروت ١٤١٨ هـ .
- حجة القراءات، عبدالرحمن بن محمد ، أبو زرعة بن زنجلة ت ٤٠٣ هـ ، تحقيق: سعيد الأفغاني ، دار الرسالة .
- جموع التصحيح والتكسير في اللغة العربية : د.عبدالمنعم سيد عبدالعال ، مكتبة الخانجي ، القاهرة .
- الخصائص : أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢ هـ) ، ط٤ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- الدّر المصون في الكتاب المكنون : ابو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي (ت ٧٥٦ هـ) ، تحقيق : الدكتور أحمد محمد الخراط ، دار القلم ، دمشق
- دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني : الدكتور محمد ياس خضر الدوري ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م .
- ديوان ، امرؤ القيس ، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم ، ط٤ ، دار المعارف ١٩٨٤ م .

- شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك : بهاء الدين ابن عقيل المصري الهمداني (ت ٧٦٩هـ) ، تحقيق: محمد محي الدين ، دار الفكر ، سوريا ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- شرح الأشموني على الفية ابن مالك : علي بن محمد الاشموني (ت ٩٤٩هـ) ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، ط٢، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، مصر ١٣٦٥هـ-١٩٤٦م.
- شرح الحدود النحوية : عبدالله بن أحمد بن علي الفاكهي (ت ٩٧٢هـ) ، دراسة وتحقيق : زكي فهمي الألوسي ١٩٨٨م.
- شرح شافية ابن الحاجب : رضي الدين محمد بن الحسن الاسترأبادي (ت ٦٨٦هـ) ، تحقيق محمد نور الحسن ، ومحمد الزفزاف ، ومحمد محي الدين عبدالحميد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٧٥م.
- شرح المفصل : ابن يعيش موفق الدين بن علي بن يعيش (ت ٦٤٣هـ) ، عنيت بطبعه ونشره إدارة الطباعة المنيرية .
- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم : نشوان بن سعيد الحميري اليمني (ت ٥٧٣هـ) ، تحقيق: الدكتور حسين عبدالله العمري ، والدكتور يوسف محمد عبدالله ، ومظهر بن علي الإيراني ، ط١، دار الفكر المعاصر ، بيروت - لبنان ١٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- الصاحح (تاج اللغة وصحاح العربية) : إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٤٠٠هـ) ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ، ط١، دار العلم للملايين، لبنان ١٩٥٦م.
- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، أبو بكر بن أبي شيبة، عبدالله بن محمد بن ابراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (ت ٢٣٥هـ)، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي ، وأحمد بن فريد الزيدي، ط١، دار الوطن-الرياض ١٩٩٧م.
- الصيغ الافرادية العربية ، نشأتها وتطورها : الدكتور محمد سعود المعيني ،جامعة البصرة.
- الطبقات الكبرى، أبو عبدالله محمد بن سعيد بن منيع الهاشمي، البصري، البغدادي، المعروف بابن سعد (ت ٢٣٠هـ) ، تحقيق : محمد عبدالقادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٠م.
- علم الأصوات ، الدكتور مناف مهدي محمد، ط١، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع ١٩٩٨م.
- عمدة الصرف : الدكتور كمال ابراهيم ، دار الكتب للطباعة والنشر ٢٠٠١م.
- غريب الحديث : ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) ، تحقيق : الدكتور عبدالله الجبوري ، ط١، مطبعة العاني، بغداد ١٣٩٧ هـ.

- الفائق في غريب الحديث والاثار : أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، ط ٢، دار المعرفة ، لبنان.
- الفهرست، أبو الفرج محمد بن أسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعتزلي ، المعروف بابن النديم (ت ٤٣٨هـ)، تحقيق: ابراهيم رمضان، ط ٢ دار المعرفة لبنان _ بيروت ١٩٩٧م.
- الفیصل في ألوان الجموع : عباس أبو السعود ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٦م
- الكتاب : ابو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبوي (ت ١٨٠هـ) ، تحقيق : عبدالسلام هارون ، ط ١، دار الجيل ، بيروت.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعلوم الاقاويل في وجوه التأويل : أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (٥٣٨هـ) ، تحقيق : عبدالرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت.
- كشف المشكل في النحو : علي بن سليمان الحيدرة اليمني (ت ٥٩٩هـ) ، تحقيق : الدكتور هادي عطية مطر ، ط ١ ، مطبعة الارشاد ، بغداد ، ١٩٨٤ م.
- اللباب في علل البناء والإعراب : أبو البقاء عبدالله بن الحسين العكبري (ت ٦١٦هـ)، تحقيق : الدكتور عبد الله النبهان ، ط ١، دار الفكر ، دمشق ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
- لسان العرب : محمد بن مكرم بن علي ابن منظور الانصاري (ت ٧١١هـ) ، ط ٣، دار صادر ، بيروت ١٤١٤هـ.
- اللُّمَع في العربية : أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ) ، تحقيق : حامد المؤمن ، ط ١، مطبعة العاني ن بغداد ١٩٨٢م.
- المحتسب في تبیین وجوه شواذ القراءات و الاضاح عنها : أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت ٣٩٢هـ) ، وزارة الأوقاف - المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- المخصّص : أبو الحسن علي بن اسماعيل بن سيده (ت ٤٥٨هـ) ، تحقيق : خليل إبراهيم جفال، ط ١، دار إحياء التراث ، بيروت ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي (ت ٥٤٦هـ)، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافى محمد، ط ١، دار الكتب العلمية، لبنان ١٤١٣هـ.
- المدخل اللغوي في نقد الشعر (قراءة بنيوية) : مصطفى السعدي ، دار بور سعيد للطباعة ، الاسكندرية.

- معاني الأبنية في العربية : الدكتور فاضل صالح السامرائي ، ط١ ، جامعه بغداد ١٩٨١م.
- معجم ديوان الادب : أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي (ت ٣٥٠هـ) ، تحقيق : الدكتور أحمد مختار عمر ،مراجعة الدكتور إبراهيم أنيس ، مؤسّسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر ، القاهرة.
- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأمصار ، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن عثمان بن قأماز الذهبي ت٧٤٨هـ ، ط١ ، دار الكتب العلمية ١٩٩٧م.
- المقتضب :محمد بن يزيد ،المبرّد (ت ٢٨٥هـ) ،تحقيق :عبدالخالق عظيمه ،عالم الكتب ، بيروت.
- المنهج الصوتي للبنية العربية : رؤية جديدة في الصرف العربي : الدكتور عبدالصبور شاهين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٨٠ م.
- المهذّب في علم التصريف : الدكتور هاشم طه شلاش ، والدكتور صلاح مهدي الفرطوسي ، والدكتور عبدالجليل عبيد حسين ، مطبعة التعليم العالي في الموصل ١٩٨٩م.
- الموجز في قواعد اللغة العربية ، سعيد بن محمد بن أحمد الأفغاني (ت ١٤١٧هـ) ، دار الفكر ، بيروت - لبنان ٢٠٠٣م.
- نكت الهميان في نكت العميان ، صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي (ت ٧٦٤هـ) ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان ٢٠٠٧م.
- الوافي والوفيات ، صلاح الدين خليل بن أبيك بن عبدالله الصفدي (ت ٧٦٤هـ) ،تحقيق :أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ، دار أحياء التراث_بيروت ٢٠٠٠م.
- ثانياً : الرسائل الجامعية**
- البحث الصرفي في التفسير الكبير لفخر الدين الرازي: حسين حمود خضير الشمري ، رسالة ماجستير ، جامعة ديالى كلية التربية ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- ثالثاً : البحوث**
- صيغة فعّال واستعمالاتها في اللغة العربية : مصطفى أحمد النماس ، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.